سيبويه
في الميزان

أ.د. عائد كريم علوان الحريزي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

ملخص

هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت-180هـ) وسيبويه لقبه ، يعني رائحة التفاح او ثلاثين رائحة وجدت انه يخطئ في (كتابة) النحوي في الامور الاتية :-

١ -الرواية (السماع)
٢ -التقرير
٣ -وضع الامثال في غير مواضعها
٤ -الخطأ في استعمال الضمائر
٥ -القياس .

البحث :

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنبر ((ت 180 هـ)) ، وسيبويه لقبه يعني رائحة التفاح أو ثلاثين رائحة ، أشهر شيوخه الخليل بن أحمد الفراهيدي ((ت 175 هـ)) ويونس بن حبيب ((ت 182 هـ)) والأخفش الأكبر ((ت 177 هـ)) ... وهو أكثر ملازمة للخليل من غيره ، وكان الخليل إذا رآه يقول : أهلاً بزائرٍ لا يُمل ، وكتاب سيبويه ((الكتاب)) أول مصنف في النحو وصل إلينا ، وسمي ((الكتاب)) قرآن النحو ، وسمي ((البحر)) وكان المبرد ((ت 285 هـ)) يسأل من يأتي ليدرس عنده : هل ركبت البحر؟ أي هل قرأت كتاب سيبويه ...؟

والمبرد نقد كتاب سيبويه ، في كتاب له سماه ((الرد على سيبويه)) وانتصر ابن ولاد المصري ((ت 332هـ)) لسيبويه ، وألف كتابه ((الانتصار)) أو ((الرد على الرد))...

وسيبويه – باستثناء الخليل – هو أعلم اللغويين في النحو والصرف والأصوات، وإذا وزن بغيره يفوقه علماً ومعرفة وقد كتبت عنه عدة بحوث ، ولما كتبت بحث ((الأمثال في كتاب سيبويه)) تراءت لي بعض الملاحظات جعلتني أضعه في ((الميزان)) إذ فاتته أمور منها ما يتعلق بالرواية ، ومنها ما يتعلق بالتقدير ، ومنها ما يخص مناحي أخرى ...

وقد اعتمدنا في المفاضلة ، والموازنة ، والترجيح ، أسساً كثيرة منها المعنى ، والقياس على كتاب الله والسلامة اللفظية ، والعروض وقواعد اللغة ، وكتب الأمثال إذ هي حجة على سيبويه ، وليس سيبويه حجة عليها ؛ لأن أصحاب الأمثال هم المعنيون ، وهم العارفون في هذا الميدان ، وهم إما سابقون له كأبي عمرو بن العلاء أو معاصرون كالأصمعي ، وأبي فيد ، والنضر بن شميل ، أو جاؤوا بعده ، ونقلوا عمن سبقوهم كالعسكري ، والزمخشري والميداني الذي أخذ كتابه من خمسين كتاباً ((الميداني ، مجمع الأمثال 4/1)).

أولاً : الرواية :

سيبويه استشهد بـ ((أربعين)) مثلاً كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون محقق الكتاب ، اتفق مع كتب الأمثال بـ ((ثلاثة وعشرين)) مثلاً ، وانفرد بـ ((عشرة)) أمثال وخالفهم في ((سبعة)) منها ، وأحياناً يقول : ((سمعنا من يقول)) ((سيبويه ، الكتاب 244/1))مثال ذلك : روى سيبويه ((كجالب التمر إلى هجر)) وروته كُتبُ الأمثال : ((كَمُسْتَبْضِعِ التمر إلى هَجَرَ ((مجمع الأمثال 153/2 ، والزمخشري ، المستقصى 233/2 ، القاسم بن سلام كتاب الأمثال ص327)) وكذا جاءت كلمة ((كَمُسْتَبْضِعِ)) في شعر النابغة الجعدي :

وإنّ امرأً أهدى إليكَ قَصِيدةً كَمُسْتَبْضِعِ تمراً إلى أرضِ خَيْبَر

وهذا كله يضعف سماع سيبويه وروايته .

والمثل ((ومِنْ عضةٍ ما ينبتنّ شكيرها)) معناه إنّ الصغار إنما تنبت من الكبار ، والحرف ((من)) ملائم للمعنى تماماً ولا يمكن وضع حرف آخر محله ، وأجمعت كتب الأمثال على روايته بهذا الشكل وهو جزء من بيت الشعر :

ومن عضةٍ ما ينبتن شكيرها قديما ويقتط الزناد من الزند

ورواه سيبويه ((في عضة ما ينبتن شكيرها)) بـ ((في)) وبلا ((واو)) وبدونها ينخرم الوزن ، ويجعلنا نضع علامة استفهام وننتقل إلى مثل آخر .

روت كتب الأمثال ((ما بالعَيْرِ مِنْ قِماصٍ)) وأشار العسكري إلى هذه الرواية ، وقال والصحيح هو ((أما بالعَيْرِ مِنْ قِماصٍ ؟)) ((جمهرة الأمثال 237/2)) وهو يقال عند رؤية مريض لا أمل في شفائه ، ورواه سيبويه ((أفلا قِماصٌ بالعَيْرِ ؟)) ((الكتاب 306/2)) ورواية العسكري أوفق وأخف ولها ما يقاربها عند جامعي الأمثال ...

وهي سؤال عن استغراق جنس القماص ، أما توجد فيه ولو حركة صغيرة جداً أو نفس خفيف ؟.

روت كتب الأمثال ((أستتيست العنز)) وهو القياس على قول طرفة ((استَتْوَقَ الجَملُ)) أي أن التحول بقي ضمن النوع ، ورواه سيبويه ((استتيست الشاة)) والشاة لا تستتيس ، وإنما تستخرف مثلاً ، حتى ولو دلت لفظتها على العنز أيضاً ، وروى سيبويه المثل ((أو فَرقَاً خَيراً مِن حُبّ)) ((الكتاب 268/1)) ونَصْبُ ((خيراً)) لا وجه له في النحو ، وروته كتب الأمثال : ((أَو فَرَقَاً أنفعُ من حُبٍ)) كما روته ((أَوْ فَرقَاً خَيْرٌ مِنْ حُبٍّ)) بالرفع على قياس النحو واللغة ((مجمع الأمثال 76/2–77)) أي لأَنْ يُفْرَقَ منك فَرَقاً خيرٌ منْ أنْ تُحَبّ ، وروى سيبويه ((أَطِّرِي إنّكِ ناعِلَةُ)) ((الكتاب 292/1)) وروته كتب الأمثال : ((أَطّرِي أو أظري فإنّك ناعِلَةٌ)) ((مجمع الأمثال 430/1 ، والمستقصى 50/1))بالفاء إذ لا وجه لحذفها ؛ لأنها زائدة لازمة ، كما يقول النحاة أنفسهم وكذا جاءت روايته عند المبرد بالفاء.

ثانياً : ما يتعلق بالتقدير.

أ. عدم التقدير خير من التقدير ، ولكنّ التقدير الجيد ما كان مبنياً على المعنى ... ومَنْ يفهم المعنى لا يُخطئ فيه ، والتقدير في الأمثال له خصوصية معينة إذ لا يكون صحيحاً إن لم يكن مبنياً على أصل المثل ومعناه ، وملابساته ؛ لأن الأمثال جمل

قصيرة قد تكون موغلة في القدم ، وقد يكون معناها الحقيقي مخالفاً لمعناها الظاهري ، فالمثل ((الظباءَ على البقر)) يُضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة ، وكان الرجل في الجاهلية – كما قال الميداني – إذا قال لامرأته ((الظباءَ على البقر)) بانت عنه ، وكان عندهم طلاقاً ، ونصب ((الظباء)) على معنى : اخترت ، أو أختار الظباء على البقر ، والبقر كناية عن النساء ومنه قولهم : جاء يجر بقره. أي عياله وأهله)) ((مجمع الأمثال 444/1)) والظاهر أن سيبويه لم يطلع على هذا المعنى ورأى كلمة ((الظباء)) منصوبة فقدر ناصباً هو ((خل)) وتقديره صحيح من حيث التركيب ، والصناعة النحوية ، وغير صحيح من حيث المعنى ، وفوق هذا أجاز رفع ((الظباء)) ونسبه إلى بعض العرب ((الكتاب 273/1)) على الرغم من أن الرفع لا معنى له إذ لا فائدة للإخبار عن الظباء بكونها على البقر ولكن ما العمل لا عربي بيننا يحتج بكلامه فنسأله ، وسيبويه ينسب إلى العرب ، ويقول سمعنا من يقول ((السابق 244/3)) والمعنى لا يؤيده أحياناً ((والله المستعان على ما تصفون)) ((يوسف/ 18)) .

ب. الأمثال باتفاق العلماء ومنهم سيبويه لا تُغّير من حيث العدد ، والتأنيث ، والتذكير والإعراب ، ولكن سيبويه قد يتجاوز على ((الأمثال)) في الإعراب ويُجيز وجهين ، فأصحاب الأمثال وسيبويه رووا المثل ((أو فرقا خير من حب)) بنصب ((فرقا)) ولكن سيبويه أجاز الرفع فيه بناء على صناعة النحو فقال : ((ولو رفع جاز كأنه قال : أو أمري فرق خير من حب)) ((الكتاب ، 269/1)).

جـ. المختار في ((كلا ، وكلتا)) أن يكون خبرهما مفرداً كقوله تعالى : ((كلتا الجنتين آتت أُكلها)) ((الكهف/33)) ولكن سيبويه يقدره مثنى في المثل : ((كلاهما وتمراً)) قال : ((كأنه قال : كلاهما لي ثابتان وزدني تمرا)) ((الكتاب ، 281/1)).

د. التقدير الأقل خير من التقدير الأكثر ، قال سيبويه نفسه : ((وكلما كثر الإضمار كان أضعف)) ((السابق ، 259/1)) لذا كان تقدير الزمخشري أحسن من تقدير سيبويه الذي خالف منهجه في المثل : ((إنْ لا حظيةٌ فلا ألية)) إذ قدر سيبويه : إن لا تكن له في الناس حظية فإني غير ألية)) ((السابق ، 261/1)) وقدر الزمخشري : ((إن لا توجد

حظية عندك فأنا لا أليةٌ)) مع رواية الرفع و ((إن لا أكن حظيةً فلا أكن أليةً)) مع رواية النصب)) ((المستقصى ، 373/1– 374)).

هـ. تقدير الإعراب هو الذي يحافظ على إعراب الكلمة ومعنى الجملة ، وتقدير المعنى أو تفسيره هو ما يُظهر المعنى ولا يُبقي الإعراب على حاله ((ابن جني ، الخصائص ، 279/1)) وسيبويه لا يفرق بين تقدير الإعراب وتقدير المعنى فكلمة ((أليةً)) في المثل السابق منصوبة وبقيت منصوبة في تقدير الزمخشري ولكنها صارت مجرورة في تقدير سيبويه ((فإني غير ألية)) وهو تقدير معنى ... والاسمان في المثل ((أهلك والليل)) منصوبان ، ولكن سيبويه قدّر فيه ((بادر أهلك قبل الليل)) وتحول الاسم الثاني ((الليل)) من منصوب إلى مجرور وهو تقدير معنى ((الكتاب ، 275/1)) وبقيا منصوبين في تقدير المبرد : ((بادر أهلكَ والليلَ)) ((المقتضب ، 215/3)) وبقيا كذلك في تقدير الزمخشري : ((أذكر أهلك والليلَ وظلمته)) ((المستقصى ، 443/1)).

و. تحدث سيبويه عن تقدير الأفعال فقال : هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل ((الكتاب ، 253/1)) وأورد المثل ((أمرَ مبكياتك لا أمرَ مضحكاتك)) شاهداً على ذلك ، ولكنه نسي العنوان ولم يقدر فعلاً بل قدر ((اسم فعل)) هو ((عليك أمر مبكياتك)) ((السابق ، 256/1)) والفرق واضح بين الأمرين.

ثالثاً : وضع الأمثال في غير أبوابها .

وضع سيبويه ((ستة وثلاثين)) مثلاً في الأماكن الصحيحة للاستشهاد بها لكنه لم يضع ((أربعة)) منها في أماكنها المناسبة لها وهي :

أ. متعرضاً لعنن لم يَعنه ((السابق 272/1)) .

ب. بيعَ الملطى لا عهد ولا عقد ((السابق ، 272/1)) .

جـ. مواعيد عرقوب أخاه بيترب ((السابق ، 272/1)) بالتاء .

د. غضب الخيل على اللجم ((السابق ، 273/1)) إذ وضعها في باب ما يُضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف ، ويقصد بالحرف أدوات الشرط وهذه الأمثال تخلو من أدوات الشرط والأدوات الأخرى ، فكان المفروض به أن يضعها في الباب الذي قبله ،

وهو : باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي ((الكتاب ، 257/1)) والظاهر أن هذا من عمل النساخ أو لحدوث سقط في المعلومات أو لأن سيبويه مات قبل إعادة النظر في كتابه وقبل أن ينسق أبوابه.

رابعاً : **الضمائر** .

إن قسماً من الضمائر في كتاب سيبويه غير منسق وفيه اختلاف كأن يتحول من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب ، ومن المفرد إلى الجمع ، وهكذا .. ومردّ ذلك على ما يبدو إلى أخطاء النساخ أو عدم دقة التحقيق ، أو أن سيبويه ينسى أحياناً ويسهو، أو لأنه غير عربي لا يجيد استعمال الضمائر ، وأن غير العرب مهما كان إتقانهم للغة العربية لا يحسنون استخدام الضمائر ، و ((أل)) في التعريف ..

فمن أخطاء النساخ وعدم دقة التحقيق قوله : ((حتى إنهم ليسألون الرجل عن غيره فيقولون للمسؤول : من أنت زيداً ؟؟ كأنه يكلم الذي قال)) ((السابق ، 292/1 الحاشية)) والصحيح كأنهم يكلمون الذي قال ... أو أن الصحيح ما جاء في نسخة (ط) : ((حتى إنهم ليسألون الرجل عن غيره ، فيقول القائل منهم : من أنت زيداً ؟؟ كأنه يُكلم الذي قال)) ((السابق ، 329/1))·

ومن نسيانه بصورة عامة قوله : ((ولو قلت : رجل ذاهب)) لم يحسن حتى تعرفه بشيء ((الكتاب ، 329/1)) وكنت أتصور أن يقول في تعريفه : ((رجل من بني فلان ذاهب)) ولكنه لم يقله ، وقال : ((راكب من بني فلان سائر)) ((السابق ، 329/1)) نسي الجملة الأولى ، وأتى بأخرى على ما فيها من ضعف وإبهام ...

ومن نسيانه أنه تحدث عن تقدير الأفعال في المثل ((أَمْرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك)) ولكنه لم يقدر فعلاً ، وقدر اسم فعل هو ((عليك)) ((السابق ، 256/1)) كما مرّ سابقاً ..

ومن نسيانه أن يقول : ((قلت)) ولا يذكر لمن قال ، ثم يقول :– فقال .. ولا يذكر القائل ... من ذلك قوله : ((قلت فكيف يكون هذا ، وإنما أراد علياً (ر) فقال ... ((السابق ، 297/1)) .

ومن عدم إجادته الضمائر قوله : ((وذلك قولك : الحمد لله ...)) ثم قال : ((وإنما استحبوا الرفع)) ((السابق ، 328/1)) الكلام في البداية موجه لمفرد مخاطب ، ((وذلك قولك)) ثم تحول إلى ضمير الغائبين بقوله : ((استحبوا)) وكان الواجب عليه أن يقول : ((وذلك قولهم ... وإنما استحبوا ...)).

ومن عدم تنسيقه الضمائر قوله : ((ومما ينتصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، ولكنه في معنى التعجب قولك : كرماً وصلفاً كأنه قال : ألزمك الله وأدام لك كرماً وأُلزمت صلفاً ، ولكنهم خزلوا الفعل ههنا كما خزلوه في الأول ؛ لأنه صار بدلاً من قولك : أكرم وأصلف به)) ((الكتاب ، 329/1)) أنظر كيف اختلفت الضمائر : قولك ... كأنه قال .. كما خزلوه .. من قولك .. ، من مفرد في ((قولك)) إلى جمع في ((خزلوه ،.. إلى مفرد في قولك ... إن سيبويه يذكر أحياناً ((الضمير)) ثم يذكر الاسم الصريح ، والأحسن أن يذكر الاسم الصريح ثم يُضمر ، لأن الضمير اختصار للاسم الصريح من ذلك قوله : ((قالوا في مثل ...)) ثم قال : ومن العرب من ينصب ((المقتضب ، 145/2)) والصحيح : قالت العرب .. ومنهم من ينصب.

خامساً : القياس

القياس هو حمل شيء على شيء آخر لعلة تربط بينهما ، وأحسنه ما كان الشبه بين المقيس والمقيس عليه كبيراً ، وقياس سيبويه ((من أنت زيداً)) على المثل : ((أطري فإنك ناعلة)) قياس بعيد ، والأحسن منه قياس المبرد ((حبذا)) في ملازمتها حالة واحدة على المثل المذكور...

رحم الله سيبويه ، وعسى ألاّ يخرج علينا ابن ولاد ثانٍ ويقول :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرّها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

Abstract

Sibawayh in the Scale

1. He is Abu Bishr Uthmaan bin Qanbar.
2. His first book in grammar is his "al-Kitaab" (the book.
3. I observed some mistakes in:

   a: narration

   b: Treatment of the presumptive or the clement that are understood.

   c: Misuse of examples.

   d: misuse of pronouns.

   e: Far- fetched simile and analogy.